

والادلة على ذلك في الكتاب كثيرة . منها ان جبران يتكهن جازما (ص ٢١) بأن « ... أية محاولة (يقوم بها الملك حسين) لسحق الفدائيين ستفضي حتما تقريبا الى الاطاحة به » . ثم يعود فيخصص فصلين لاحقين ، السادس عشر والسابع عشر ، لتدوين احداث ايلول الاسود . كان بإمكان الكاتب اعادة النظر في هذه الآراء التي تخطتها احداث الكتاب ذاته قبل دفعه الى المطبعة . وكان يمكن اعتبار امتناعه عن اعادة النظر فيها من بساب الامانة للمشاعر والآراء الاثنية لو انه في صدد تقديم يوميات او مذكرات . اما وان الكتاب هو عرض مباشر « موضوعي » لاحداث تتعلق بالمشاومة في فترة زمنية معينة ، فاننا لا نجد مندوحة من اعتبار هذا الامتناع عن اعادة النظر اهمالا وتسرها لا مسوغ لها .

وثمة امثلة اخرى ، من نوع اخر ، على الاهمال والتسرع . فغنيك اخطاء لغوية واضحة ، واخرى مطبعية ، والكتاب كان بحاجة ماسة ، الى مفتح كفوء ومصحح تقدير . كما اننا نرى المؤلف ، في امكان كثيرة ، يعرض الافكار والتعليقات ، التي قد تكون سلبية وربما واضحة في عقله ، بطريقة مشوشة ينقصها التسلسل المنطقي والتطوير الكافي ، بحيث لا يسع القارئ فهم قصده منها . والبعض الاخر من اقوال الكاتب لا بد وان يرفع ، تعجبا ، حواجب الكثيرين من القراء الفلسطينيين والعرب ويثير التساؤل عن صحتها وقيمتها الاعلامية ، كتقوله في الصفحة ٥٣ : « ومع ان الفدائيين قد يتمتعون عن الاعتراف بتأثير اجنبي ، فانهم ربما تبعدوا الى حد ما تقليد لورنس العرب » !

بالطبع ، تشفع بالكاتب سنه ، وحماسه التي تضيء على الكتاب حيوية أكيدة ، وصدقته الذي يبرز بوضوح من البداية الى النهاية . وقد لا يخلو الكتاب من فائدة اعلامية . لكننا نتمنى على غلين جبران الحرص على ان يجيء كتابه الثاني عن « النزاع الفلسطيني » الذي يبشرنا به تعريف الناشر ، خلوا من كل هذه الاخطاء والعيوب التي من السهل تحاشيها ، واكثر تركيزا وعمقا .

رجا جورج

التعريف به في مؤخر كتابه انه ولد في ديترويت من ابوين فلسطينيين ، وانه كان ما يزال طالبا جامعيًا في تكساس ودون العشرين من العمر لما انتهى من تاليف هذا المجلد النحيل (١١٥ صفحة) . ولا يسع كل من يقرأ هذا الكتاب ان يشك في حماسة المؤلف للقضية الفلسطينية واخلاصه لها . ولعل هذه الحماسة وهذا الاخلاص هما اللذان دفعاه الى تاليف الكتاب في هذه السن وبهذه السرعة ولكنها ، للأسف ، لا يضمنان وحدهما صنع كتاب جيد .

يتألف الكتاب من عرض سريع لاحداث الثورة الفلسطينية وفقا لتسلسل زمني غير واضح وغير دقيق ، بين سنة ١٩٦٨ وسنة ١٩٧٠ . وقد صدر جبران كتابه بمقدمة قصيرة ، تليها « خلفية تاريخية » في اربع صفحات . وقسمه الى قسمين ، احدهما بعنوان « مقدمة للاعتراف » والاخر بعنوان « اعوام الملاحم — ١٩٧٠ » . ويضم القسم الاول تسعة فصول ، والثاني ثمانية فصول ، يليها نص انكليزي « للبيان الوطني الفلسطيني » ، وفي الختام مقابلة مع ياسر عرفات . وهذا يعني ان معظم فصول الكتاب قصيرة جدا ، لا تتجاوز احيانا الصفحة الواحدة او الصفحتين . وليس في هذا ما يعيب لو ان عرض الاحداث كان اكثر تنظيما وتركيزا ، ولو لم يكن الكتاب ككل مليئا بالاطغاء والهفات المختلفة .

فالاتطباع الذي يخرج به المرء من مطالعة الكتاب هو ان مؤلفه كتب فصوله تباعا ، اثناء وقوع الاحداث ، دون ان يعدد الى اعادة كتابة المواد المتجمعة لديه على هذا النحو ، او الى تنقيحها تنقيحا جيدا على الاقل . والاسلوب الذي دون به هذه الاحداث هو اقرب ما يكون الى اسلوب التقارير الصحافية التي تتسم بحيوية الاحداث الاثنية كما يكتبها للحال شخص حاضرها ويفتقر ، بالتالي ، الى العمق والبعد التاريخي . ولئن كان هذا الاسلوب يليق بصحيفة او مجلة اخبار اسبوعية فمن البديهي انه لا يصلح البتة لكتاب يفترض ان تبقى له قيمة ما بعد فترة من مرور هذه الاحداث . واحدى النتائج السبئية لهذا الاسلوب هي ان الكثير من الآراء والتعليقات التي ابداهها جبران حول حدث او موضوع معين في فصل مبكر عادت الاحداث فدحضتها بطول كتابة فصل لاحق .